وقد وجد بعض الرحّالة في « فتقا » على بعد ساعة من غزير شمالاً كتابات عديدة يونانيّة احداها من سنة ١١١ للمسيح (١ يستفاد منها انّهُ كان هناك هيكل . وهذا دليل على ان فتقا كانت موضعاً معتبراً (ستأتي البقيّة)

العوائد اللبنانية

لحضرة الاب يوسف تاني احد اساتذة مدرستنا الكليّة (تابع لما سبق)

٢ الطفولية

ذكرنا في مقالتنا الاولى عوائد اهل لبنان عند ولادة الاطفال فحان لنا ان نصف ما هو جارٍ لديهم من العادات في زمن الطفوليّة

(تقسيط الطفل) يلفُّ الطفل اللبناني باللفائف ويُشدُّ بالزنّار وتكبَّل يداهُ ورجلاهُ تكبيلاً بالقمط فيبقى على هذه الحال اشهراً وهو اشبه باسير مجرم منهُ بولدٍ عزيز . ويوضع على رأسهِ قبعة لئلّا « يبرد نافوخهُ » اي يأفوخهُ وهو قنّة رأس الطفل واذا ترعت رباطاتهُ بعد اشهر لا يزالون يخطقونهُ بالزنّار حتى يناهز السنتين زعماً منهم ان ظهرهُ يقوى بذلك

(الترفيع) ومن حين الى آخر تُحلُّ سلاسل الطفل الرضيع لترتاح اعضاؤهُ وينشرح صدرهُ فتأتي اذ ذاك القابلة « فترفّع » للولد . والترفيع ان تُدخل سبّابتها في فيهِ وتوسع لهُ ذلاعيمهُ ليستنشق الهواء بسهولة . والبعض يدعون ذلك « تخييكاً »

(التطييع) عند العامّة ترويض جسم الطفل . وذلك انَّ القابلة تمسك بيديهِ وتثنيهما الى ظهرهِ ثمَّ ترفعهما فوق رأسهِ . وكذلك تعطف برجليهِ الى ان تتّصلا بوجههِ وتأخذ بابطيهِ وتلوّحهُ من جانب الى آخر ولا تبرح تلوي اعضاءهُ عضواً عضواً لترتّض جوارحهُ وتليّنها وتدرّبها فتُصبح طوع الارادة سهلة الحركة

وربَّما زاغ في الاطفال المفصل الذي يجمع اعلى العَضُد والكتف فتعالج القابلة « رفشهُ » . والرَّفش كلمة سريانيّة (ڦګګ) معناها الابط . وطريقة هذا العلاج ان تُرَدّ يد الطفل الى ظهرهِ فيبدو المفصل المذكور ناتئاً فاذا رأتهُ حائداً عن موضعهِ احكمتهُ

(١ راجع Mission de Phénicie, p. 326

فيقولون « شالت الداية رفش فلان » اي اصلحت مفصل اجله

وكثير من هذه العوائد قد بطلت في المدن لما وجد الاهلون من سوء تأثيرها في الجسم. فمن ذلك مثلاً انَّ القمط التي يعصب بها رأس الطفل في لبنان يؤثر في هيئة رأسه فترى جبينهُ ناتئاً واصداغهُ غائرة ومؤخر رأسهِ مستويًا

(الصلاة على الباب) بعد ولادة الاطفال يدعى الكاهن الى بيت المولود فيتلو صلاةً تدعى « الصلاة على الباب » ويرش الدار بالماء المقدَّسة تبرُّكًا ودفعًا لقوَّات الجحيم

(العماد) تودّ الكنيسة لو عُمّد الاطفال باقرب وقت لينالوا نعمة السرّ فيصبحوا ابناء الله وورثةً للملكوت ولئلَّا تفوتهم هذه المنَّة السابغة اذا طرأ على حياتهم الضعيفة فاجئةٌ تذهب بروحهم. الَّا انَّ بعض اللبنانيين يتهاملون في اتمام هذه الوصيَّة فتمرّ على اطفالهم بعضهم اسابيع قبل صَبغهم بالماء المقدَّسة وساء ما يفعلون

ومن العوائد الجارية في العماد ان الوالدين يختاران كفيلين للمعتمد يدعونهما عرَّابًا وعرَّابة (من السريانيَّة خنَّا). وهما عادةً صاحبا الزوجين وكفيلاهما عند الزواج فيدعيان حينئذٍ باسم الاشبين والاشبينة تعريب السريانيَّة ܫܘܫܒܝܢܐ والعبرانيَّة שושבינה فيُعرض عليهما ان يتولَّيا ضمانة الطفل فان اجابا الى ذلك والَّا يختار بدلهما آخران

والعرَّابان يتكلَّفان كلَّف رتبة العماد كثمن الشموع وغيرها. و « ينقّط » العرَّاب الصبيّ بان يعطي بعد العماد شيئًا من الدراهم لامّهِ او يجعل هذه الفضَّة تحت وسادة المعتمد. اما العرَّابة فانَّها تهدي الصبيّ حلَّةً جديدة ومنديلًا ولوحًا من الصابون. واذا كانت من اغنياء قومها كانت هديَّتها اعظم قيمةً من ذلك

اما الابوان فيُولمان بعد العماد وليمةً يحضرها العرَّاب والعرَّابة والاهل والاصدقاء.

على انَّ اكثر هذه العوائد لا تجري في عماد البنت. فيُقتصر على الرتبة الكنسيَّة دون احتفال ولا يُدَقّ الجرس. ومن اقوالهم المنبئة بتفورهم من البنات « ان عتبة الدار تحزن تسعة ايَّام » من ولادتها. وكلُّ ذلك ابتخاس من قدرهنَّ وجودٌ يجحف بحقوقهنَّ

ومن العوائد المختصة بالعماد انَّ العرَّابين الذين قاما بكفالة البكر يتولَّيان ايضًا عرَّابة بقيَّة الاولاد ولذلك يقال ان « الذي يشيل الواحد يشيل البقيَّة ». والعرَّابان يحبَّان عادةً وصيَّهما حبًّا شديدًا ويعتبرانهِ كابن لهما ويدعوانهِ « فليون » من الفرنسيَّة (filleul) او الايطاليَّة (figliuolo) ويقومان بعد الابوين بتربيتهِ

ومنها ايضاً ان الاب والام لا يحضران معاً في بعض الاحيان رتبة العماد بل احدهما فقط ويزعمون انَّ حضور كليهما يُلحق بالطفل ضرراً

(رشم النذير) الرشم من السريانيَّة ومعناه هو ان يعمّد الولد دون احتفال ويكون ذلك ليس فقط اذا دهم الطفل خطر واشفى على الموت بل ايضاً عند ما ينذر احد الابوين ان يعمّد ابنهُ في كنيسة بعيدة فيرشم الكاهنُ الولد ويدع حفلة العماد لوقت آخر حيث يمكن الناذر ان يقوم بنذرهِ . وحينئذٍ لا يُسمح لاحد ان يقصّ شعر الطفل بل يبقى على حالهِ ويُجدل عقائص الى ان يتيسَّر للاب ان يفي بوعدهِ ولو بعد سنين طويلة فيأتي بالولد الى المقام المعهود ويُقصّ شعرهُ قبل الاحتفال بالعماد . ولعلَّ النصارى اخذوا هذه العادة عن العبرانيين وقد ذكر في سفر العدد (الفصل السادس) ما يختصّ بالنذير (عد ٦ : ١٣)

(دخول الامّ الكنيسة) اذا ابلَّت النُّفَساء وعادت اليها قواها بعد ارجاعها تقصد الكنيسة لتشكر الله على نجاتها . فيستقبلها الكاهن على باب البيعة ويبدها شمعة فيتلو على رأسها صلواتٍ معلومة ثم يدخلها الكنيسة . واكثر ما تصير هذه الرتبة في اليوم الاربعين بعد الولادة ذكراً بعيد دخول العذراء الطاهرة الى الهيكل . واشارة الى عادة بنات اسرائيل كما ورد في التوراة (سفر الاحبار ١٢ : ٦ — ٧)

(الرضاعة) انَّ حبَّ الامّ اللبنانيَّة لابنها يحملها على ان ترضع هي وحدها ولدها فلا ترضى ان تفوّض الى غيرها هذا الامر الهامّ ولو تكلّفت بذلك عناء ومشقَّة . ولعمري انَّ في هذا لعبرةً لغيرهنَّ ممَّن يأنفنَ من الرضاعة فيقتّلن اولادهنَّ بحليب اجنبيّ . الَّا انَّ الاميرات في الجبل لترفّهنَّ والمتمدّنات الحديثات في المدن لنحافة اجسامهنَّ يكلّفنَ احياناً امر رضاعة اطفالهنَّ الى الاظآر

والولد في بلادنا يرضع زمناً طويلاً فانّنا رأينا في انحاء لبنان اولاداً أربى عمرهم على السنتين ولم ينقطعوا عن الرضاعة . وفي هذا غلوّ ظاهر وافراطٌ وبعض الأمهات يزعمن انَّ الرضاعة الطويلة تقوّي البدن وتشدّد القوى ولذلك يقال في مثل « فلان شبعان من حليب امّهِ » . الَّا انَّ في اطالة الرضاعة مضارّ اخرى . واللبنانيون نفسهم يقولون : « انَّ الذي يرضع طويلاً يكون قليل الذكاء » . هذا في رضاعة الصبيان اما البنات فان زمن ترضيعهنَّ لا يتجاوز سنةً واحدة لئلَّا « يعصى رأسهنَّ »

ومن عوائد نساء لبنان ان يحملن الاطفال على اكتافهن . ويتفاءلن بان يركبنهُ اوّل مرّة على فرس « كحيلة » اي جواد او « فَرْشخ » (١ على كتف ابنةٍ عذراء.

(تنويم الاطفال) انَّ حنوَّ الامّ ورقّة قلبها ومحبّتها لولدها لمن الامور الطبيعيّة التي عمّت اقاصي البلاد . ولعلَّ الامّ اللبنانيّة تتأنّق في ابراز شعائرها الوالديّة اكثر من غيرها فهي تنعتهُ بألطف الاسماء. فتدعوهُ تارةً « عيونها او روحها » وتارةً « فلذة كبدها » و « حُشاشة قلبها » وتتمنّى لو تُجعل فداهُ وتعبرها يوماً الى غير ذلك من الالفاظ الرقيقة الدالّة على العواطف اللينة
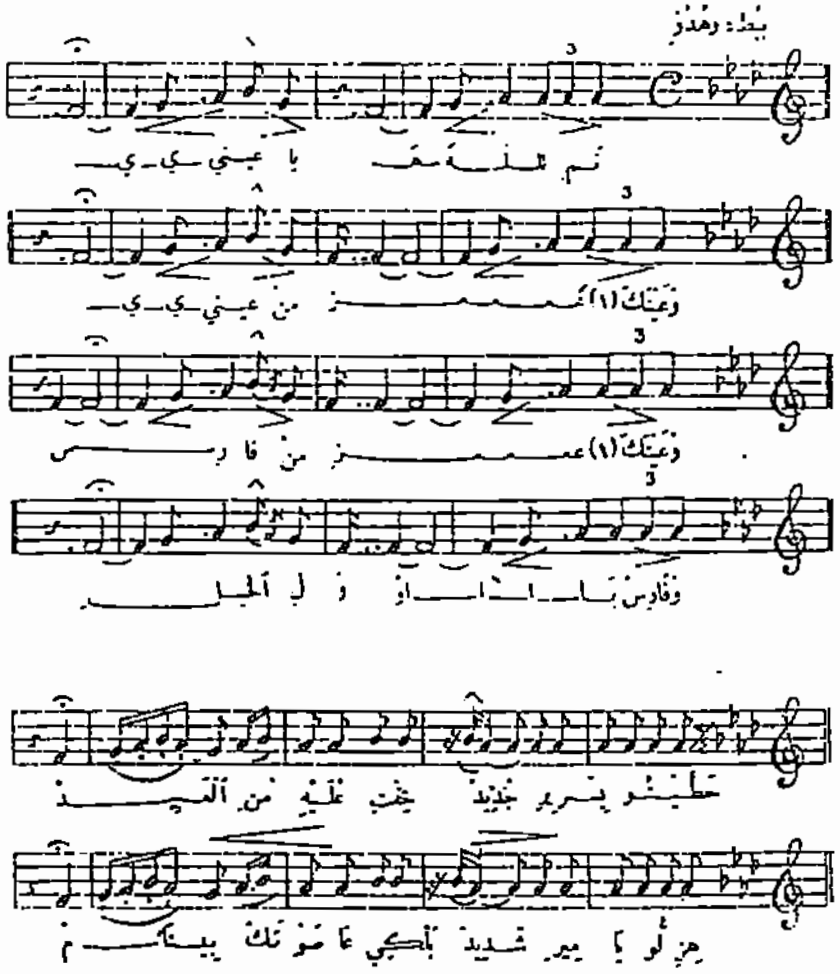
١) فرشخ الرجل والاصحّ فرشح من السريانية فَرْشَحَ اذا فصل بين رجليهِ عموماً والراكب خصوصاً

واذا ارادت ان تنوّم ابنها غنّت لهُ غناء يكون مجلبةً لهُ على الرقاد. وقد اتخذ الشرقيّون ذلك دأبًا وفي لغتنا العربيّة لفظة قديمة تدلُّ على ذلك: «هنّمت المرأة في رأس الطفل» اذا نوّمتهُ بصوتٍ ترقّقهُ له. واهل حلب يدعون ذلك «هَدْيًا» فيقولون هدت الام لولدها اي غنّت. ولعلّهُ تصحيف «حَدَتْ» من حدو الابل اي سوقها بالغناء.

وقد شاع في لبنان غناء هو غاية في اللطف والرقّة سمعناهُ مرارًا فاحببنا نقلهُ هنا لتعريف عوائد بلادنا. ولمّا كان الاوربيّون كلفين بهذه الامور رسمنا لهم صورة الغناء المذكور على طريقتهم الّا انهُ يقرأ على الطريقة العربيّة من اليمين الى الشمال:

نم الله يا عيني وعينك عزّ من عيني
وعينك عزّ من فارس وفارس باول الخيل (١

يا الله ينام ابني يا الله ينامْ لادبح له الوزّه وطير الحمامْ
يا حمامات لا تصدّقوا عمّال باضحك عا ابني لينامْ (٢

يا جمّال ويا عمّي ما بريدك بريد امي
بريد امي ترضعني وتحطّ البزّ في تتي (٣

يا جمّال سوقْ أميتْ يا مسكين وما لك بيتْ
انا بيتي عا ضهري وانت عا الخان تمّيتْ (٤

يا بيّاع العنب والعانبيّا قل لامي وقل لبنيّا
اخذوني العرب لقلعة مجدليّا كنت حطّيب كنت قشقش كنت ملّي لامي موّيا
كنت هزهز لابن خيّي بسرير الداهبيّا صرت هزهز لابن البدوي بسرير الحاشيّا (٥

انا باسهر الليل وانت تحطّ بنومكْ يا اكحل العين وانت زغير من يومك

١) قولهُ: «نم الله» اي نَم باسم الله. و«عزّ» بمعنى التفضيل اي اعزّ من فارس يجري في مقدّم الخيل. ويروى البيت الثاني: «عزّ من حبقه حبقه جوّاة جنيني»

٢) يا الله بمعنى عسى. هذه عسى حرّفها العامة فقالوا عسي العسي لكن الاكثرين يستعملون ان شاء الله للتمني. عمّال للمؤنث والمذكر يُراد بها السعي بالامر. عمّال باضحك اي انني اضحك

٣) كل رجلٍ غريبٍ يدعوهُ من كان اصغر منهُ سنًّا «يا عمّ» و«يا عمّي» مثلًا يا عمّي الجمّال. في تمّي اي في في ٤) «عا ضهري» اي على ظهري. تمّيت اي تأخرت وجئت في جوف الليل

٥) قولهُ العنب والعانبيّا من طريق الاتباع والعرب يحبّون ذلك فيقولون مثلًا في جواب هل

خبروني مشوش والخطف لونك يا اكحل العين وانت زغير من يومك (١

يا الله ينام ابني يا الله يجيه النوم يا الله يحب الصلاة يا الله يحب النوم
يا الله تجيه العوافي كل يوم بيوم (٢

يا الله يا دايم تحفظ عبدك النايم
تحفظ عبدك وتجيره وتخليه نايم بسريره (٣

أللهْ أللهْ ابني بحفض اللهْ
ابني بحفض يسوع والعدرا تحفضه يا الله (٤

وهذه الابيات مع ركاكة عبارتها العاميّة لا تخلو من طلاوة واذا نُقّحت وعُرضت بعرض حسن وجدت فيها من المعاني الرقيقة والالفاظ المنسجمة ما يدخلها في باب البلاغة البديعيّة فرجع الدور الاوّل مثلًا الى قوله: « نم يا وحيد القلب وقرّة العين يكلأك الله ويرعاك انّك لاآثر عندي من نفسي واحبّ اليّ من فارس يخوض ميدان الحرب في مقدّم الكماة » وهلمّ جرًّا

ويوجد غناء آخر غير السابق يستعمل في شمالي لبنان نروي منهُ هنا دورًا واحدًا:

نيّمتُه بسرير جديدْ خفت عليهِ من العبيدْ
هزّلهْ يا مير شديد بلكي (٥ عاصوتك بينامْ

راجع لحنهُ في الصفحة ٥١٣ (ستأتي البقيّة)

عند فلان من خيل: « لا خيل ولا خير » ويقال « فلانٌ حسَن بَسَن » كذلك في لغة العامة فلان ما عندهُ « لا ولد ولا تلد » فلان « جلس نجس » اي انهُ يظهر لك المودة ويضمر العداوة . ومن الاتباع ألفاظ لا معنى لهُ مثلًا: لا خبز ولا مبز لا بطرس ولا مطرس وقولهُ « قشقش » اي جمع القش شعلة للنار. « داهيًا » ذهب

١) انت تخطّ اي تنطّ . وقولهُ « انت زغير من يومك » ان العامّة كثيرًا ما تدخل الضمائر على الاسماء كما يصنع السريان . يقولون فلان من يومهِ بينهم ومن اولهِ بينهم فلان يشتري طعامهُ كل اكلة باكلتها او كل وقتة بوقتها . اعطنا خبزنا كل يوم بيومهِ . وسنبيّن ان شاء الله كيف ان آثار اللغة السريانية باقية في اللغة الدارجة اعلاها وانّ غير دارسةٍ ولا عافيةٍ

٢) العوافي جمع العافية ٣) تحفظ ويقال ايضًا تحفض

٤) بحفض الله اي بحفظ الله والمعنى انني وكلتهُ لله فهو في ظلّهِ وتحت كنفهِ

٥) والبعض يقول « بركي » وهي تركيّة بمعنى لعلّ